

ج ١٠ : م ١ — ١٥ شوال ١٣٤٣

المذهب الجديد

ما رأيت دعوة تتهافت من نفسها بكل ما فيها من الوهن ، على دعاتها بكل ما فيهم من ضعف اليقين بها ، كهذه الدعوة التي يتهافت بها جماعة لا يُعدُّون منا إلا كما يُعدُّ من الانسان أنفه وهو أذنٌ . . وهي الدعوة إلى الاباحية اللغوية .

فبين ظهرانينا من أولئك الدعاة ، جماعة نعرفهم في عصرنا كما يعرف الجوهريّ الماس المصنوع : لا هو من الماس ، ولا هو من الحصا ، ولكنه جنس بينهما ؛ وقديماً عرف سلفنا سلفهم وهم الانباط ، فقد كانوا بين العرب والعجم جنسا لم يستقل بنفسه ولم يلتحق بأحد الجنسين .

وفي أسماعنا من دعوتهم صدى لأخرى سبقتها بعشرة قرون أو أكثر ؛ فقد ظهر في العصر العباسي من دعوا الى احالة هذه العربيـة الفصحى الى عامية معربة . فجاء هؤلاء بعد هؤلاء على طراق واحد كما ترى .

لقد جهد سلفهم في صدر ذلك العصر أن يطبعوا هذه اللغة على ألسنتهم إذ عز عليهم أن يطبعوا ألسنتهم عليها ؛ وفيمن يسكنون سفح الجبـل الذاهب في الافق من إذا عز عليهم أن يصعدوا القمة ، تخيلوا السفح يصعد لأن القمة لا تهبط والجبل قارّ في موضعه وسفحه أسفله أبدا وقمته أعلاه أبدا .

صفحة من تاريخ الاباضية :

ولاية الامام المهنا بن جيفر

في عمان

هو من بني اليحمد بويع يوم مات الامام عبد الملك بن حميد وهو يوم الجمعة لثلاث خلت من رجب سنة ست وعشرين ومائتين وشيخ الاسلام يومئذ العلامة الاكبر موسى بن علي وهو رئيس العلماء أهل الحل والعقد . ولما بويع رحمه الله شمر عن ساق الجد وصرف قواه الى الاصلاح العام الداخلي والخارجي وكان ذا حزم وحسن تدبير وقوة دهاء وسياسة متينة وعدل وعلم واسع وذكاء نادر اختار ولاته من الجهابذة ذوي الرسوخ في الدين والشهرة بالثقة والصدق والامانة

ومن حزمه وخبرته بسياسة الملك ان انصرف الى تشييد الاسطول البحري وتنظيم الجيش : فأعد من القوات البحرية ما يأمن غوائل البحر ويضمن حماية السواحل العمانية الشاسعة ، فاجتمع لديه من القطع الحربية البحرية ثلاثمائة ، ومن الجيش بعاصمة الملك عشرة آلاف مقاتل ، ومن الجيش الخاص به سبعمائة نجيبة وستمائة فارس . وذكر العلامة الصبحي من مؤرخي عمان انه كان عند الامام نحو تسعة آلاف أو ثمانية آلاف مطية، الظاهر أنها لبيت المال

ظهر لعمان في ولاية هذا الامام من عظيم الشأن وجلالة الملك ما صيرها من أفخم الممالك اذ ذاك فقوي عمران عمان وكثر الوافدون اليها يستظلون بالعدل ويسكنون الى الامن والحرية التامة ، فبلغ العمران الى أن عد في سمال وهي احدى ضواحي العاصمة (نزوى) أربعة عشر ألف نسمة . خذ لك شاهداً على حزم هذا الامام واستعداده لكل طارىء ما كان سبباً لضم « مهرة » بعد ان كانت شبه مستعمرة يكتفي الأئمة قبله منها بدفع الزكاة والحماية من كل معتد :

هي ان عامل الامام الذي يجبي الزكاة وهو عبد الله بن سليمان من بني ضبة من أهل « منح » دخل بلاد مهرة مصدقا فطلب فريضتين لزمتا رجلا من رؤسائهم على ما يظهر اسمه وسيم بن جعفر ، فامتنع من اداء غير فريضة واحدة مع تهديد العامل وخطابه بما يعد منه تهاونا بالامامة وخلعا للطاعة . فما كان منه الا أن انفذ الى الامام بالامر. ثم قدم العامل بعد ذلك فاخبر الامام وقد أعد الكتائب فأنفذ الامام الى ولاته في البلاد بين العاصمة ومهرة اذا ظفرتم بوسيم ابن جعفر المهري. فاستوثقوا منه فكتب اليه والي « ادم[1] » أنى قد استوثقت منه وقبضت عليه . فوجه اليه احد قواده أبا المقارش يحيى اليحمدي فى كتيبة من الفرسان فلقيه « بالمنائف » قادما الى الامام بالثائر ثم لما بلغوا الى « عز » باغتهم كتيبة اخرى ولما بلغوا قرية تعرف « بمنح » لقيتهم اخرى وهكذا لم تزل تتلقى المقبوض عليه الكتائب من مكان الى مكان حتى بلغ « نزوى » فأمر الامام بسجنه فمكث سنة لا يقدر أحد أن يكلم الامام فى أمره حتى جاء جمع من وجوه مهرة فاستعانوا بوجوه من رهط الامام فطلبوا اطلاقه فشرط عليهم ثلاثة شروط : إما الارتحال من عمان ، وأما الحرب ، وأما اداء الزكاة كل حول واحضارها الى نزوى بشهادة شهود معدلين من « ادم » . فقالوا الارتحال لا يمكننا وأما الحرب فلا نحارب الامام . فقبلوا الشرط الاخير وكانوا يؤدون الزكاة كل سنة وأذعنوا لنفوذ الامام تجرى عليهم أحكامه . ففي هذه الواقعة من الحزم والتسامح والوقوف عند حدود العدل ما لا يخفى على الاريب .

وفي عهده ثار بنو الجلندى ورأسهم المغيرة بن روشن الجلنداني وهذه الفئة منذ وفاة الجلندى بن مسعود الذي سبق لنا ذكره وهو من الائمة العدول كانت مثار الفتنة والافساد وشاءمهم المشاغبون ضعفاء الايمان واسراء الاطماع

(١) الظاهر انها متاخمة لمهرة مما يلي عمان

الذين كثيرا ما يظهرون للتعكير في الاجواء الصافية وفي فضاء الحرية والعدل وهي حالات لا تصلح لهم وانما تلتذ نفوسهم في الاضطراب والشغب والخيانة وتتحقق اطماعهم الفاسدة عند اختلال الامر فمثل هذه الفئة الخاسرة التي تكون سببا لنزول البلايا على الامة وربحا وافرا للعدو يجب أن ينكل بها بل يقطع أثرها وتمحى معالمها ولا غرو فان الله تعالى يقول في محكم كتابه « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا » الآية فجهز اليهم الامام جيشا أخذهم من كل مكان ولم يجدوا منفذا للنجاة بعد أن دخلوا « توام » وقتلوا أبا الوضاح والي الامام بها فكانت هـذه الشنعة الاولى منهم والاخرى . وقواد جيش الامام المرسل لقمع هـذه الثورة التى كادت تستفحل لولا حزمه وحسن استعداده هم ثلاثة : أبو مروان والي صحار ، والصقر بن عزان أحد أمراء الجيش ، والمطار الهندي أمير الفرقة الهندية في جيش الامام . وعدد الجيش كله اثنى عشر الفا . ومما يؤسف له ان الجيش الهندي وبعض الغوغاء من غيرهم أشعلوا النيران في دور الثائرين فالتهمت مافيها من أموال وحيوان فكان الجنـدي ينغمس في الفلج فيقتحم النار لفك الحيوان فنجا منها ماشاء الله فأرسل الامام تعويض المتلفات الى أصحابها وأنصف أرباب الحقوق بعد اذعان مابقي من الثائرين

وفي عهده ظهرت محنة خلق القرءان فذكاها ضعفاء الدين وبسطاء العلم . شبهة القاها أبو شاكر الصيداني الدخيل الذى تظاهر بالاسلام لافساد الاسلام وكادت تعم بليتها عمان لولا مبادرة الأئمـة الاعلام الى اطفائها . فكانت بردا وسلاما على الامة ولم يحصل شيء غير الاخذ والرد في القول . فقد اجتمع أقطاب العلم في « دماء » منهم أبو زياد وسعيد بن محرز ومحمد بن هاشم ومحمد بن محبوب أحد الائمة المجتهدين في ذلك العصر وحامل لواء الدين وقرروا الكف عن المسئلة بالمرة بعد تقرير الحق فيها وطلبوا من الامام أن يشد على كل خائض فيها فقطع الله

جهيزه كل متكلم ، ولقد أحسنوا صنعا اذ حسموا الخلاف بين الامة وبقي الامر بين أهله من رجال العلم

وبالجملة ان هذا الامام كان مثال الائمة العدول والملوك العظام حزما وسياسة ، عم نفوذه كل الاقطار المجاورة لعمان الى ماوراء حضرموت والظاهر ان اليمن كان تابعا له. وذكر أبو الحواري رحمه الله من مؤرخي عمان ان الامام المهنا كان غير مرضي السيرة عند الامامين محمد بن محبوب وبشير بن المنذر ولم يتابعا على رأيهما ولم يظهرا انتقاداً عليه في حياته وارى هذا غير صحيح اذ روي ان احد العلماء ذكر الامام بسوء فانتهره الامام ابن محبوب وهذا يدل على رضائه عنه . نعم كان الامام شديد الوطأة على كل من يبدو منه أقل سوء نحو الامامة لافرق بين عالم ورئيس مع ماله من الهيبة العظيمة وقوة الارادة

ولم ينتقم عليه أحد من أهل الشأن وولاته ممن يشار اليهم في الامة بالبنان علما وحكمة وعملا . من بينهم العلامة محمد بن على قاضيه وأبو مروان واليه على صحار وزياد بن الوضاح وخالد بن محمد والصقر بن عزان أمير الجيش والمنذر بن عبد العزيز من ولاته وكلهم من فحول الرجال وكبار المسلمين وعلمائهم

وليس بشيء ماذكره بعض الكاتبين من استبداد الامام المهنا ووجود احداث فى عهده اذ لو صح ذلك لاظهر اولئك الائمة الرابضون له ولامثاله البراءة منه بدون خوف من بطشه واستبداده وقوة سلطانه ، ولا اراه الاشاعة اذاعها بعض الناس بعد موته ، ولا يبعد ان تكون ممن ناله بطشه بسوء عمله

مات يوم الجمعه لست عشرة خلت من ربيع الثانى سنة سبع وثلاثين ومائتين رحمه الله ورضي عنه وجازاه بالروح والريحان والرضوان . فولايته عشر سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما

القاهرة أبو اسحاق